العطور

لم يخبرنا التاريخ عن الزمان الذي وجدت فيه العطور . غير ان علماء التاريخ الطبيعي قد اثبتوا ان حاسة الشم في انسان العصور الاولى كانت اقوى مما هي الآن . وبذلك حسبوا ان العطور وجدت منذ وجد الانسان. وحكموا بانها كانت تستعمل ممزوجة بالزيت . ولنا براهين تاريخية ناصعة تؤيد ان الهنود والفرس القدماء كانوا يستعملون البخور في حفلات اعيادهم واعراسهم كما ان المصريين كانوا يستخرجون الروائح الذكية العطرة حتى لقد كان الناس من الشرق والغرب يشمون مصر لابتياعها في زمن « بطليموس » وكان كهنتهم وخدام آلهتهم يستعملون البخور وعطر الزعفران والقرفه وزهر السوسن في اعيادهم الروحية وقد ولعوا بها حتى انهم استعملوها في التحنيط وعمت عندهم ايضاً فاستعملتها نساؤهم للتزين والتبرج

وبعدان خرج العبرانيون من مصر حافظوا على عادة استعمال العطور محافظة شديدة . وكان حكام آسيا يستعملونها بكثرة حتى امست لهم مفسدة . وقد اورد بعض المؤرخين عن استعمال الرومانيين للعطور قصصاً خرافية كثيرة لا مجال لذكرها هنا . كما ان فريقاً من علماء التاريخ وفلاسفته اثبتوا ان الرومانيين بالغوا في استعمال العطور حتى انهم اصبحوا يستعملونها في مآكلهم وكانوا اذا ناموا فرشوا الزهور في مخادعهم ونثروها فوق رؤوسهم كما كانوا يشربون المشروبات الطيبة الرائحة . وقد صرفوا في ليلة ساهرة احيوها بالملاعب في مدينة (باي) ٥٠٠ الف فرنك ثمن ورود اشتروها . وكان من عاداتهم انهُ اذا زارهم زائر كريم وجلس الى مائدة الطعام فرشوا امامهُ الازهار والرياحين

ثم انتقلت هذه العادة الى العرب فكانوا عليها حريصين وهم اول من قطّر العطر من الزهر . اما في فرنسا فلم يعم استعمالها الاّ في القرون الوسطى لما ان اهدى هرون الرشيد الى الامبراطور شارلمان بعض الهدايا في جملتها عطور متنوعة. غير ان الفرنسيس لم يستعملوها الاّ في كنائسهم فكانوا يمزجون بها زيت القناديل والبخور وما شاكل ذلك

وقد فاق الايطاليون غيرهم من شعوب اوربا في استعمال العطور وهم الذين نقلوها الى فرنسا لما زارتها كاترينا دومدتشي الايطالية ومعها رجل ايطالي يدعى دونه تاجر بالعطور فربح ارباحاً طائلة . وفي تلك الآونة بلغ هيامهم بها الى ان صاروا يعطرون بها الجلود التي يهيئون منها المناطق والقفافيز . الا ان الايطاليين فقدوا شهرتهم هذه في ايام الملك هنري الرابع يوم قام الاسبانيون يستعملون الروائح المعروفة باسم كاكاو واتيليا كما ان فرنسا في ايام لويس الرابع عشر فقدت ايضاً استعمال العطور بتاتاً لعدم رغبة ذلك الملك فيها . ثم عادت في ايام لويس الخامس عشر وانتشرت انتشاراً عظيماً حتى انهم كانوا يستعملون لكل يوم عطوراً خاصة به . واشتهرت باستعمالها مدام بومبادور فكانت تنفق عليها ٥٠٠ الف فرنك في السنة . وكان استعمالها منحصراً بالاغنياء لغلائها غير انها رخصت اخيراً لارتقاء الصناعة فعم استعمالها كل طبقات البشر

والعطور تستخرج من النباتات ما عدا المسك والعنبر فان المسك يوجد في غزال المسك والعنبر في بطن بعض الحيتان وبقية العطور تستخرج من النباتات سواء كانت رائحتها في ازهارها او في اثمارها او في ازهارها واثمارها معاً او في قشورها او في جذورها . فان من النباتات ما تكون رائحتها في ثمارها وازهارها كالليمون وغيره ومنها ما توجد في جذورها كالزنجبيل المائي ومنها ما توجد في قشورها كالقرفه والبخور وغيرها . ومنها ما توجد في اوراقها كالعنتر والنعنع وما شاكلها . وقد تستخرج من نبات واحد عطور متنوعة فيستخرج مثلاً من ورق البرتقال نوع ومن قشوره نوع آخر

والبلدان التي تستخرج العطور كثيرة وعلى العموم يقال ان العطور القوية الرائحة توجد في البلدان الباردة والخفيفة في الاقاليم المعتدلة . والعطور التي تباع في معامل اوربا المشهورة اكثرها يأتي من جنوب فرنسا وعلى الخصوص من مدينة غراس التي تستخرج فيها عطور البنفسج والياسمين وزهر البرتقال . وقد اشتهرت هذه المدينة بعطورها نظراً لمساعدة اقليمها واعتناء اهاليها بالمزروعات اعتناء شديداً

وفي مقاطعة الب ماريتيم الفرنساوية المشهورة بازهارها يقطف ما يضيف على سبعة ملايين كيلو غرام من الازهار فيقطف من زهر البرتقال ما يضيف على

ثلاثة ملايين كيلو غرام ومليونان من الورد ومليون من الياسمين ومليون من البنفسج ويستخرج من كل الف اقة من زهر الورد اقة واحدة من عطره

ولكل من الزهور وقت قطاف معلوم فتجمع وتؤخذ الى المعامل حيث تفرق انواعها كل على حدة. وهناك تجري عليها طرائق مختلفة لاستخراج عطورها التي تختلف باختلاف انواعها. والطريقة السهلة المشهورة هي عملية التقطير بواسطة الانبيق غير انها لا توافق الا الزهور التي تحتمل حرارة زائدة دون ان تفقد رائحتها الاصلية . وتختلف مدة التقطير باختلاف نوع الزهر فان زهر البرتقال يحتاج الى بضع ساعات والقرنفل اليابس يلزم لتقطيره بضعة ايام . وتتبدل الروائح بعملية التقطير تبدلاً يذكر لان المواد الآلية التي في الزهور قد تحل فتفقد باتحلالها الرائحة الاصلية . ولا يستعمل الانبيق لتقطير البنفسج والياسمين بتاتاً بل يستخرج عطرها بواسطة بعض المواد الدهنية وهكذا قل عن زهر الورد والبرتقال . واحسن المواد الدهنية المستعملة (القاسلين) فيذاب في وعاء كبير الى ان يبلغ درجة حرارته الستين فيؤتى بالزهور وتوضع فوقهُ وتحرك بخشبة كبيرة مدة قليلة الى ان تمتزج رائحة الزهر بالمادة الدهنية ثم تفرق عنها وتصفى وتوضع في آلات خصوصية ويصب فوقها ماء حار وتعصر لفصل المواد الدهنية عن دهن الزهر ويكتفى بالتصفية بمصفاة خصوصية لفصل هذا الماء عنها

ثم يؤتى بهذا الدهن ويوضع في وعاء كبير وتوضع فيهِ ازهار اخرى وتحرك. وهكذا تتبدل الزهور كل ساعة الى ان يمتص الدهن الرائحة المطلوبة وقد يجب تبديل الزهر خمساً وعشرين مرة

ثم يوضع هذا الدهن في كيس من الحور ويمزج بالسبيرتو ويحرك دائماً . والنية السبيرتو للمواد العطرية اشد من النية القاسلين لها لذلك ترى الرائحة تنتقل الى السبيرتو بوقت قصير وتمتزج بهِ. غير ان احد الفرنساويين وهو المسيو تورين اخترع آلة لاستخراج العطور بواسطة المواد الطيارة اتت بالفائدة المطلوبة ولذلك جعل الفرنسويون يستعملونها في مدينة غراس . ومع ان استحصال عطر القرنفل امر صعب جداً فقد اصبح بفضل هذه الآلة سهلا وهكذا قل عن البنفسج وعطرهِ .وتباع انواع العطور بثمن فاحش جداً فثمن كل كيلو غرام من روح البنفسج ١٥٠٠٠ فرنك

وقد ارتقت صناعة التقطير في اوربا وخصوصاً في فرنسا والمانيا ارتقاء عظيماً فجعل الناس يستخرجون العطور بالطرائق الكيماوية بل جعلوا يركبون العطور الاصطناعية منذ سنة ١٨٧٦. واستحصال العطور بالكيمياء على نوعين: الاول — استحصالها من روح طبيعية بواسطة عمليات كيماوية . والثاني — استحضارها بالتركيب الكيماوي فقط . فيستخرج من روح القرنفل عطر يسمى عند الافرنج (غارينبول) وعطر آخر يدعى (اوجينول) غير انهما لا يعادلان رائحة القرنفل الاصلية . واما النوع الثاني وهو استحضار العطور بالتركيبات الكيماوية المحضة دون روح طبيعية فذلك ظاهر بالمسك الاصطناعي الذي اكتشف طريقة استخراجه المسيو (بوتر) الفرنساوي سنة ١٨٨٨ وكان اكتشافهُ لهُ صدفة

وقد تناقصت اسعار العطور حديثاً فقد كان كيلو المسك الاصطناعي يباع بخمسة وعشرين الف فرنك غير ان رائحتهُ كانت اشد منها الآن وبيع الكيلو من الايونون بسعر ١٢٥٠ فرنكاً . وقد تناقصت هذه الاسعار رويداً رويداً بانتشار هذه الصناعة . ففي سنة ١٨٨٨ بيع الكيلو من الوانيلين بالفي فرنك وهو الآن يباع بمئة فرنك وهكذا الهليوتروبين فيباع الكيلو منهُ الآن بخمسة وثلاثين فرنكاً مع انهُ كان يباع بالف وثمانماية فرنك سنة ١٨٧٩

واكثر الممالك اصطناعاً للعطور فرنسا وقد اصدرت سنة ١٨٩٨ ما ثمنهُ ثلاثة عشر مليوناً وتسعماية وثمانية وخمسون فرنكاً وسنة ١٩٠٠ ما ثمنهُ اربعة عشر مليوناً وستماية وسبعة وثلاثون فرنكاً ودخلها عطور من الخارج سنة ١٨٩٨ قيمتها اربع مئة وواحد وسبعون الف فرنك وسنة ١٩٠٠ عطور قيمتها ثلاثة آلاف وتسعماية وثمانون فرنكاً

وفي المانيا معامل كثيرة لاصطناع العطور ايضاً . وفي هذه المعامل عدد كبير من الكيماويين الذين يشتغلون الليل والنهار لايجاد انواع العطور ونفيسها . وثبات الالمان في اشغالهم امر معلوم فقد اشتغلوا عشر سنوات حتى اكتشفوا الايونون وصرفوا ملايين الفرنكات لهذه الغاية كما صرفوا ١٥ مليوناً من الفرنكات في اكتشافهم الدواء المسمى (انتيبيرين)

وخلاصة القول ان الاوربيين توصلوا بالطرائق الكيماوية الى صنع انواع من العطور تعادل بجودتها العطور الطبيعية

نقولا شكري